

76010 - حول طلب العلم

السؤال

سؤالي يا شيخ يتكون من عدة نقاط ، لكنها متصلة ببعضها البعض ، وهى تدور حول طلب العلم ، وأرجو من فضيلتكم عند الإجابة على الأسئلة أن تضع أمام عينيك أني أريد أن أكون يوماً ما كالشيخ ابن باز أو الشيخ ابن عثيمين ، قد تتهمني بالجنون أو السفة ، ولكن يعلم الله أن هذين العالمين الربانيين هما قدوتى في طلب العلم . 1- الزواج : هل يتعارض الزواج مع طلب العلم ، خاصةً أنى فى بداية الطلب ، وقد تأخرت كثيراً فى الطلب ، فعمري الان 25 عاماً ، ولكنى عندي رصيد معقول من المسائل ، ولكن بدون تأصيل علمي ، ولكن هناك أمر ، وهو أني شاب أنعم الله علي بقوة البنية وحسن الهيئة ، وأخاف على نفسي في زمان الفتنة الذي نعيش فيه ، كما أن الفتاة التي أنوى الزواج منها لا يمكن تعويضها بسهولة ؛ لأنها من بيت ملتزم جداً ، وأن أحب والدها وإخوانها الذكور ، وأتمنى أن يكون بيننا مصاهرة . 2- ساعات التحصيل : كم ساعة يجب علي أن ألتزم بها في تحصيل العلم ، بخلاف الوقت المخصص للقرآن ، فأنا أجعل له وقتاً خاصاً به تلاوةً وحفظاً . 3- الإنترنـت والفضائيـات : أنا أقضـي حوالـي ساعـة ونصـف يومـياً في تصفـح المـواعـق الدينـية عبر الإنـترنـت ، كـموقعـكم ومـوقـع المـسلـم (دـ/ نـاـصـر العـمر) وـمـوقـع الشـبـكة الإـسـلامـية ، وكـذـكـ أـقضـي حـوالـي ساعـة يومـياً في مـتابـعة قـناـة الجـزـيرـة الإـخـبارـية ، أو أي بـرـنـامـج يـنـاقـش قـضـيـة مـهمـة على أي قـناـة أـخـرى ، وذلك بهـدـف التـثـقـيف في مـخـلـف جـوانـب الـحـيـاة ، فـهـل أـسـتـمـرـ على ذلك ، أم أـسـتـفـيدـ من ذلك الـوقـت في طـلـب الـعـلـم وكـذـكـ العـبـادـة ؟

الإجابة المفصلة

أبارك لك أخي السائل هذه الهمة العالية ، وأبارك لك ما أنعم الله عليك من حرص وسعى لتحصيل العلم ، فإن العلم الشرعي أشرف ما يقطع به الإنسان عمره ، ويُفني له شبابه .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

(الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ، وَمَا وَالَّهُ، وَعَالَمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ)

رواه الترمذى (2322) وقال : حسن غريب ، وحسنه ابن القيم في عدة الصابرين (260) والألبانى في الصحيحه (2797) ومسيرة العلم أخي مسيرة طويلة ، فهي مشروع عمر ، وهي فكرة حياة كاملة ، ولا يزال طالب العلم في طلبه حتى يلقى الله على ذلك

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(لَنْ يَشْبَعَ الْمُؤْمِنُ مِنْ حَيْرٍ يَسْمَعُهُ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الْجَنَّةِ)

رواه الترمذى (2686) وقال : حسن غريب ، وصححه الحاكم (4/129) ووافقه الذهبي ، وقد ضعفه الشيخ الألبانى في ضعيف الترمذى .

وهذه نصائح فيها إجابة على ما سألت عنه :

أولاً :

أنفع ما يكون طلب العلم في سن الشباب ، حيث يكون الذهن متوقداً ، والهمة حيّة كبيرةً ، ولا يضر المرء أن فاتت سنون صغره وطفولته دون حفظ العلوم أو دراستها ، فإن الطالب في شبابه قادر على تعويض ما فاته ، بالحرص والجد والمتابعة .

أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (284/5) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله :
 "تفقهوا قبل أن تُسَوَّدُوا" .

قال أبو عبيد في "غريب الحديث" (3/369) :
 "يقول : تعلموا العلم ما دمتم صغاراً قبل أن تصيروا سادة" انتهى .

ولما ذكر البخاري في صحيحه (ص/39) قول عمر معلقاً ، أتبّعه بقوله :
 "وبعد أن تُسَوَّدُوا ، وقد تعلم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في كبر سنهم" انتهى .

يريد البخاري رحمة الله ، بيان أن كبر السن والسيادة لا تمنع من العلم ، فقد أسلم كثير من الصحابة في كبر سنهم ، مثل أبي بكر رضي الله عنه ، ثم صاروا أئمة علم ونور وهداية .

كما أبشرك أخي السائل بأن سن العشرين هو أفضل سنين الطلب ، فهو سن القوة والشباب ، وقد اختاره أهل العلم لتعلم العلوم الصعبة ، وما فات قبله إنما هو لحفظ القرآن وبعض المتنون.

جاء في تدريب الراوي (1/414) :

"قال جماعة من العلماء: يُستَحِبُّ أن يبتدئ بسماع الحديث بعد ثلاثين سنة، وعليه أهل الشام، وقيل بعد عشرين سنة وعليه أهل الكوفة، وقال سفيان الثوري: كان الرجل إذا أراد أن يطلب الحديث تعَبَّدَ قبل ذلك عشرين سنة، وقال أبو عبد الله الزبيري من الشافعية: يستحبّ كثُبُّ الحديث في العشرين؛ لأنها مجتمع العقل، قال: وأحب أن يشتغل دونها بحفظ القرآن والفرائض، أي: الفقه" انتهى .

فأنت الآن في بداية الطلب ، ولم يفتك شيء إن شاء الله ، فاحرص على أن تكون بداية صحيحة قوية ، ولا تضيع من عمرك شيئاً ، فإن ما يفوتك لا يرجع أبداً .

ثانياً :

لما كان طلب العلم مشروع عمر ، لا يتوقف إلا بانحرام هذا العمر بالموت ، كان لا بد أن يعود الطالب نفسه على التوفيق بين حاجات الدنيا وبين تكليفات الطلب ، ومن ذلك أمر الزواج ، فالزواج لا يكون أبداً عائقاً عن طلب العلم ، فإذا كان الطالب يرى العلم في همه وفكرة أعظم عبادة يستغرق بها سنين عمره ، فلن يكون الزواج أو العمل أو القيام بتكميل الدنيا كلها إلا خادماً لمشروع العمر الكبير ، إلا وهو عبادة الله بالتعلم .

وهكذا كان الصحابة والتبعون والعلماء السالفون ، منهم التاجر ومنهم الوالي ومنهم المتزوج بالواحدة ومنهم المتزوج بالأربع ، ومنهم صاحب العيال ، فلم يشغلهم ذلك عن العلم والتعلم .

يقول أبو حامد الغزالى رحمه الله "إحياء علوم الدين" (2/44) :

"فإن انتفت في حقه الآفات واجتمعت الفوائد، بأن كان له مال حلال وخلق حسن، وجد في الدين ثاماً، لا يشغله النكاح عن الله، وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة، ومنفرد يحتاج إلى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة، فلا يُهارى في أن النكاح أفضل له"

انتهى .

وسائل الشيخ ابن عثيمين رحمة الله "لقاء الباب المفتوح" (3/56) :
هناك طالب علم شرعى يريد أن يتزوج ، ولكنه يخشى إن تزوج أن يتعطل وينشغل عن طلب العلم ، فما نصيحتكم له ؟
فكان جواب الشيخ رحمة الله :

" الزواج لا يعوق عن طلب العلم ، بل ربما يعين على طلب العلم ، قد يوفق الإنسان لامرأة تقرأ وتكتب وتساعد ، فإن لم تكن ، فأقل ما يكون أن تذهب عنه الوساوس والتفكير في الزواج ، فالزواج يعين على طلب العلم ، لأنه يهيء للإنسان الجو المناسب لطلب العلم ، من حيث الهدوء والراحة ، وكذلك فإن الزوجة توفر على زوجها كثيراً من الوقت الذي كان يضيع منه في قضاء حاجاته في البيت ، فنصيحتي لهذا الشاب أن يقدم على الزواج ، فإن فيه خيراً كثيراً ، وامتثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، واتباعاً لسننته وسنة إخوانه المرسلين " انتهى .

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله "فتاوي علماء البلد الحرام" (277) :

" نصيحتي لجميع الشباب والفتيات البدار بالزواج والمسارعة إليه إذا تيسر أسبابه ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم (يا معاشر الشباب من استطاع منكم البقاء فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحسن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء) ولما في ذلك من المصالح الكثيرة التي نبه عليها النبي صلى الله عليه وسلم ، من غض البصر وحفظ الفرج وتكثير الأمة والسلامة من فساد كبير وعواقب وخيمة " انتهى .

ثالثاً :

أما الكلام على ساعات التحصيل ، فذاك فصل تنافس فيه المتنافسون ، لا يملك أحد أن يحدّه بحدٍ أو يقدّره بوقت ، وأنا أسوق لك هنا بعض الأمثلة ، ثم أترك لك التقدير بعد ذلك :

قال ابن العطار تلميذ النووي :

" ذكر لي شيخنا رحمة الله أنه كان لا يضيّع له وقتاً ، لا في ليل ولا في نهار ، إلا في الاشتغال بالعلم ، حتى في الطريق يكرر أو يطالع ، وأنه دام على هذا ست سنين ، ثم أخذ في التصنيف ، وكان لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة بعد عشاء الآخرة ، ويشرب شربة واحدة عند السحر ، ويقول أخاف أن يرطب جسمي ويجلب لي النوم " انتهى .

ويقول ابن عقيل الحنفي :

" إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، حتى إذا تعطل لسانني عن مذاكرة أو مناظرة ، وبصري عن مطالعة ، أعملت فكري في حال راحتني وأنا منظر ، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطرته ، وأنا أقصّر بغاية جهدي أوقات أكلي ، حتى اختار سف الكعك وتحسّسيه بالماء على الخبز ، لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ ، توفرًا على مطالعة ، أو تسطير فائدة لم أدركها فيه ، وإن أجل تحصيل عند العقلاء هو الوقت ، فهو غنية تنتهز فيها الفرص ، فالتكلّيف كثيرة والأوقات خاطفة " انتهى . انظر "صلاح الأمة" (169 - 175) رابعاً :

لا ينبغي لطالب العلم الشرعي أن يهمل أو يغفل الاطلاع الجيد على أحداث عصره ، وظروف مجتمعه ، فذلك من ضرورات العلم والفقه ، والفقيه هو الذي يحسن فهم النصوص ، وفهم الواقع الذي ينزلها عليه .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمة الله "لقاء الباب المفتوح" (1/330) :

"من المعلوم أن واقع الناس لا بد أن يكون معلوما لدى الإنسان ، حتى يعرف ماذا يعيش فيه ، وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى في قوله حين بعث معاذ بن جبل إلى اليمن : (إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ) فأخبره عن واقعهم وحالهم ، لكن لا يجوز بحال من الأحوال أن يطغى على الفقه في الدين ، وأن لا يكون للشاب أو لغير الشاب هم إلا أن يبحث ما حصل ، وماذا حصل ، في أمر لا يمكنه إصلاحه ، أيضاً لو أراد الإصلاح فالفقه في الدين هو الأصل ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (مَنْ يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفْقَهُ فِي الدِّينِ) والفقه في الواقع يحتاج إليه لنطبق الفقه في الدين على أحوال الناس ، لكن لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يطغى فقه الواقع على الفقه في الدين ، بحيث لا يكون للإنسان هم إلا مطالعة الجرائد والمجلات ، وما أشبه ذلك ، ويعرض بذلك عن مطالعة الكتاب والسنة " انتهى .

ولتكن تعلم أخي السائل أن كثيراً مما يعرض على القنوات الفضائية مما لا يجوز للمسلم مشاهدته أو متابعته ، وذلك بسبب ظهور النساء المتبرجات فيه ، ومصاحبة الموسيقى له ، وقد أغنانا الله سبحانه وتعالى عن ذلك - والحمد لله - ، إذ يمكنك متابعة ما تحتاجه في قناة بعيدة عن المخالفات الشرعية ، أو موقع إخباري إسلامي موثوق بالقائمين عليه ؛ لا سيما إذا فهمنا أن المطلوب ، في مثل حالك ، هو الإمام الجمي بالأحداث وأحوال الناس ، ثم الاهتمام بما يتعلق بحياتك العلمية والدعوية ، لا سيما إذا كان منك المشاركة في تغييره ، أو معروفاً تستطيع الأمر به أو المشاركة في قيامه .

وأما أن تكون همتك - أخي الكريم - تدعوك لأن تبلغ في العلم ما بلغ الأنمة الكبار ، فذلك فضل الله يؤتى به من يشاء ، وما ذلك على الله بعزيز ، لكن لكل قول حقيقة ، فلتكن حقيقة قولك أن تجد وتجتهد في تحصيل العلم ، وصرف النفس والنفيس في العناية به ، والعمل به ، ثم الافتقار إلى الله تعالى في أن يبلغك مرتبة الإمام في العلم والدين ؛ فذلك مما أثني الله تعالى به على عباده ؛ فقال سبحانه في صفات عباد الرحمن :

(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَدُرْيَاتِنَا قُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً) (الفرقان:74)

غير أنها ندرك من المبالغة في أحلام اليقظة ، التي يكون مؤداها أن تغرق صاحبها في الخدر ساعات أو أيام ، ثم لا يلبث أن يرى نفسه يراوح بين قدميه ، وهو - بعد - في مكانه ؛ وسرعان ما يصيبه اليأس والإحباط .

وإنما نوصيك بقول الله تعالى :

(وَمَنْ يَهَا جِزْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِه مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمُؤْتَهَ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) (النساء:100) ونذكر بقول النبي صلى الله عليه وسلم للساكين في طريقهم إلى الله تعالى :

(سَدُّوا وَقَارُبُوا وَاغْدُوا وَرُوْحُوا وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ وَالْقَضَدِ تَبَلُّغُوا)

رواه البخاري (6463) ومسلم (2818) .

والله أعلم .